



بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان



وزارة الرعاية والضمان الإجتماعي

مركز ثقافة التنمية الاجتماعية

ورشة عمل :

الهوية الوطنية مرتكز للإصلاح والاستقرار الاجتماعي

ورقة

بعنوان:

الهوية الوطنية الأسرية والمجتمعية ومستقبل الاستقرار
الاجتماعي

إعداد وتقديم:

د. أشرف محمد آدم أدهم

جامعة النيلين

أكتوبر ٢٠١٥م

الهوية الوطنية الأسرية والمجتمعية ومستقبل الاستقرار الاجتماعي

مقدمة

الأسرة هي العنصر الأساس المكون للمجتمع والمنتج للنظم الاجتماعية، وهي الوحدة الأساسية التي يتم فيها بناء الشخصية والهوية الفردية والجماعية حسب المؤثرات والمعطيات والبيئة المحيطة بها، وفيها يتم نقل الأنماط والسمات الثقافية بكل تعقيداتها، مثال قواعد ومعايير السلوك والقيم والأخلاق، والرموز والشفرات التي توهم أفرادها للتكيف مع البيئة الاجتماعية المحيطة مثال الشعور بالتمايز والتفاخر، أو من وكيف ولماذا يحبون أو يكرهون أو يحتقرون، بمعنى آخر كيف يتعاونون ومع من، وكيف يتنافسون، وكيف يتصارعون، وكيف ومتى يتفوقون على المستوى الداخلي للجماعة أو مع الآخر.

هدفت هذه الورقة إستشراف مستقبل الاستقرار الاجتماعي من خلال قراءة وتحليل أوضاع الأسر السودانية في ظل السياسات العالمية والتطورات والتغيرات الإقليمية والمحلية، والصراع التاريخي حول موضوع الهوية الوطنية والمواطنة منذ استقلال السودان ١٩٥٦م، والذي أخذ طابعاً حرجاً وأكثر دقة في عمليات التمايز والصراع الإثنوثقافي.

وتتمثل مشكلة الدراسة في تساؤل رئيس: ما هي حالة الأسرة السودانية وكيف يمكن قراءة مستقبل الاستقرار الاجتماعي في ظل الظروف الصراعية على المستوى المحلي، والتطورات والتغيرات السريعة التي تحدثها السياسات العولمية؟ وقد تم استخدام المنهج التحليلي في تحليل الواقع المحلي والمؤثرات العالمية، ومنهج تحليل المضمون لبعض النصوص المرتبطة بموضوع الورقة.

خلصت الورقة إلى أنه مع التطورات والسياسات العالمية للاتجاه نحو العولمة لبناء هوية عولمية، أصبحت الأسرة غير قادرة على إنتاج الهوية الوطنية كأحد المعايير القيمية التي من المفترض أن تزود بها أفرادها، ومع عدم الاستقرار الأمني والمعيشي على المستوى المحلي وسرعة التطورات التكنولوجية وثورة المعلومات والاتصالات، بدأت الأسرة تفقد دورها المهم في التنشئة الاجتماعية وتربية الأبناء، وبالتالي بدأت تفقد القدرة على المحافظة على الهوية الأسرية.

وأمام فشل الحكومات الوطنية في إدارة التنوع والصراع، تجد الأسرة نفسها تقف على مفترق الطريق بين تركية الهوية الوطنية، أو تركية الهوية الإثوثقافية، وكلما فشلت الحكومات في بسط الأمن والاستقرار المجتمعي وغرقت في التجاذبات والأستقطابات القبلية، كلما ضعفت الهوية الوطنية والشعور بالمواطنة وتقوت الهوية الإثوثقافية.

الأسرة

يعتبر النسق القرابي من الأنساق الاجتماعية المهمة، حيث أن علاقات القرابة تتسم بطابع يميزها عن العلاقات الاجتماعية الأخرى مثل العلاقات الاقتصادية أو السياسية أو الدينية، حيث أن الارتباط بالدم والسلالة يعطي هذه العلاقات طابعها الخاص، والأسرة تعتبر النظام الأساس المكون للنسق القرابي، وذلك لأن منها يتفرع هذا النسق ويتشعب، كما أنها تعتبر المنتج الرئيس لأفراد المجتمع الجدد، وفيها يتم إنتاج الثقافة والقيم ومعايير الأخلاق والسلوك المقبول اجتماعياً.

الأسرة ظاهرة اجتماعية ملازمة لوجود البشر على اختلاف ثقافتهم ومعتقداتهم، حيث أنه لا يوجد مجتمع إنساني يقبل الإباحية الجنسية، لذلك شرع كل مجتمع طرقه الخاصة لتقنين عمليات الإشباع الجنسي وما ينتج عنه من إنجاب والتزامات تربية الأبناء ورعايتهم، لذلك صارت الأسرة اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي، وهي جماعة إنسانية على درجة عالية من النظام، ومن خلال ما تنتجه من معايير وقيم وموجهات للسلوك والمحافظة عليها وعلى الإرث الثقافي فهي مكلفة بواجب استقرار وتطور المجتمع، كذلك هي وحدة بنائية تتكون من روابط نفسية معنوية وبيولوجية.

والأسرة تعني معيشة رجل وامرأة وأكثر في مقر إقامة مشترك، وتكون بينهم علاقة جنسية يقرها المجتمع، ويترتب على ذلك زمرة من الحقوق والواجبات تجاه كل طرف وتجاه الأبناء^١، كذلك تعرف الأسرة بأنها عبارة عن منظمة دائمة بصورة نسبية، مكونة من زوج وزوجة مع أطفالهم، وتتميز بالوظائف الجنسية والأبوية، وهي نسق اجتماعي يمارس أعضاها الأدوار الثابتة في المجتمع، وتعكس الأسرة توجيهات القيم والمعايير التي تنظم العلاقات الاجتماعية، ومدى الترابط والانسجام الذي يتوحد به الأفراد في طفولتهم أثناء التفاعل في المواقف الأسرية^٢.

^١ سناء الخولي. الزواج والأسرة في عالم متغير. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. ١٩٨٨م. ص ٣٦٩
^٢ حسين عبد الحميد أحمد رشوان. البناء الاجتماعي والأنساق والجماعات. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية. ٢٠٠٧م. ص ٩٠ - ٩١

ومن خصائص الأسرة أنها تلعب دوراً مهماً وحيوياً في تشكيل وجدان وشخصية وهوية الأفراد، وذلك لما لها من قوة تأثير على الأبناء، خصوصاً من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، حيث تملك الأبناء مهارات التكيف والتواصل الاجتماعي مع الآخرين حسب متطلبات الأدوار الاجتماعية، وتساعدهم على تشكيل الذات الفردية والجماعية إلى جانب فهم البيئة الاجتماعية المحيطة بالأسرة وتكوين ميول الحب أو الكراهية تجاه الآخر خارج نطاق الأسرة، فهي تزود أفرادها بالأفكار والمعلومات التي تمكنهم من كيف ولماذا يفتخرون بأنفسهم، وماذا يميزهم، وكيف ولماذا يحبون الآخرين أو يكرهونهم أو يحتقرونهم، كما تساعد في تشكيل الهوية الثقافية والوطنية والتمييز بينها وبين الهويات الأخرى.

من أبرز وظائف الأسرة هي عمليات التنشئة الاجتماعية والتي يمكن تعريفها بأنها عملية تفاعل يتم من خلالها تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وهي في أساسها عملية تعلم^٣، حيث أن الطفل يبدأ حياته وله حاجات بيولوجية محددة، وأثناء نموه يبدأ تدريجياً ومن خلال تفاعله مع بيئته الاجتماعية اكتساب عادات أسرته وأسلوب حياتها، ومن ثم عادات وأسلوب حياة مجتمعه. حيث أن الأسر التي تربط بينها صلة القرابة أو صلة الوجود الجغرافي، دائماً تكون بينها مشتركات متفق عليها بصورة تلقائية وهي تشكل أسلوب حياة المجتمع المعين.

وهي عملية معقدة تتضمن من جهة كائناً بيولوجياً له تكوينه الخاص واستعداداته المختلفة، ومن جهة أخرى هي شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، ثم من جهة ثالثة هي تفاعلات ديناميكية مستمرة بين البيئة والفرد، حيث يؤدي هذا كله إلى نمو ذات الفرد تدريجياً، وهي كذلك العمليات التي يصبح فيها الفرد واعياً ومستجيباً للمؤثرات الاجتماعية وما تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط، وما تفرضه من واجبات علي الفرد كي يتعلم كيف يعيش مع الآخرين الذين تربطهم صلات داخل الجماعة ويسلك معهم مسلكهم في الحياة^{١٣}، وأولئك الذين هم خارج الجماعة. ويمكن أن نعرف التنشئة تعريفاً واسعاً على اعتبار أنها عملية يكتسب بها الفرد الاتجاهات والمعتقدات والقيم التي تتعلق به كعضو في نظام اجتماعي معين، وفي هذا التعريف تعتبر عملية التنشئة كإحدى عناصر الاستقرار والاستمرار للنظام، وكإحدى عناصر التغيير أيضاً في المجتمع^(١٤)، وإحدى آليات تشكل الهوية سواء كانت الأسرية أو المجتمعية أو الوطنية.

^٣ - رشاد صالح دمنهوري. التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي. دار المعارف الجامعية. ١٩٩٥م. ص ٢١

^{١٣} - نفس المرجع السابق. ص ٢١

^(١٤) فيصل سالم. أساسيات التنشئة السياسية الاجتماعية. مع دراسة ميدانية في بعض دول الخليج. جامعة الكويت. (د - ت). ص ٢٠

وفي إطار تكوين الاتجاهات السياسية، يمكن الحديث عن التنشئة الاجتماعية السياسية، وقد عُرِّفت على أنها العملية التي من خلالها يكتسب الفرد الاتجاهات والتوجيهات نحو الظواهر السياسية من الجيل الحالي إلى الجيل القادم^{١٥}، ولدى دارسو التنشئة الاجتماعية انطباعات وأفكار مختلفة. عما يحدث في عملية التنشئة، فيراها البعض، أنها نقل معلومات سياسية وقيم ووجهات نظر للوالدين، والمدرسين وقنوات التنشئة الأخرى للمواطنين الجدد الذين في حالة نمو ونضوج، بينما يرى البعض الآخر أنها تنمية قدرة الطفل على فهم البيئة السياسية، الرأي الأول يؤكد ما تنتقله قنوات التنشئة، بينما يركز الرأي الثاني على تنمية قدرات الفرد، لذلك فأى مفهوم شامل للتنشئة السياسية يجب أن يتضمن وجهتي النظر^{١٦}.

حيث أن التنشئة الاجتماعية تعمل على تنمية قدرات الفرد على التمييز الذاتي وامتلاك المهارات اللازمة لاتخاذ القرارات المستقلة، أي أنها لا تلغي شخصية الفرد بالكامل، ولكن من ناحية أخرى فإن المجتمع بواسطة الأفراد المؤثرين فيه غالباً ما يفرضون على الأفراد التفضيلات كما يرونها هم، ويسعون لجعلها إلزامية من خلال آليات الضغط الاجتماعي المختلفة، وهذا يفسر تمرد بعض الأفراد على ما تفرضه الجماعة الأولية (الأسرة) أو العائلة أو المجتمع من ميول وتفضيلات سياسية، ويختارون لأنفسهم تفضيلات أخرى، إلا أن الأفراد في كل الأحوال يكونوا تحد تأثير جاذبية جماعة اجتماعية.

ومما تقدم نخلص إلى أن مفهوم التنشئة الاجتماعية السياسية هي العملية التي يستطيع من خلالها المجتمع نقل ثقافته السياسية من جيل إلى آخر، وهي عملية تدريس الشباب بواسطة المجتمع على كيفية التصرف مع القابضين على السلطة السياسية^{١٧}، أو بمعنى آخر التنشئة الاجتماعية السياسية هي عملية تطويرية، يتمكن المواطن أو "مواطن المستقبل" خلالها من النضوج السياسي، وخلال هذه العملية يكتسب الفرد معلومات ومشاعر ومعتقدات متنوعة تساعده على فهم وتقييم الارتباط بالبيئة السياسية المحيطة به وتعتبر توجهات الفرد السياسية جزء من

^{١٥} رعد حافظ سالم. التنشئة الاجتماعية السياسية وأثرها على السلوك السياسي. دار وائل للنشر. عمان. الاردن. ٢٠٠٠م. ص ١٧

^{١٦} ريتشارد داوسن وآخرون. التنشئة السياسية. ترجمة مصطفى عبد الله أبو القاسم وآخرون. منشورات جامعة قارون. بنغازي.

١٩٩٠م. ص ٥٦

^{١٧} رعد حافظ سالم. نفس المرجع السابق. ص ١٧

توجهاته الاجتماعية العامة، فالمشاعر تجاه الحياة السياسية ترتبط فى الغالب بوجهات النظر الاقتصادية والثقافية والدينية^{١٨}.

الهوية

الذات والذات الجماعية

إن بداية تكوين الهوية . بمعنى الانتماء إلى جماعة معينة لها صفات ومواصفات معينة . يبدأ لدى الأفراد منذ الطفولة ضمن عمليات التنشئة الاجتماعية المتنوعة التي تشكل عملية ارتباط الفرد مع الجماعة الأولية . الأسرة . وخلق علاقات متميزة مع أفرادها من خلال التفاعلات التي تتم أثناء ممارسة الحياة اليومية العادية، وتنمية الإمكانات النفسية والعاطفية والوجدانية لدى الفرد، والتي تمكنه من التعرف على الوعي بذاته *consciousness of self*، ومقدراته التي من ضمنها فهم العلاقة التي تربطه بأفراد الجماعة الأولية . الأسرة . وكيف يحافظ عليها من خلال موازنات نفسية تُدخل الفرد في عملية القبلية الثقافية والاجتماعية التي يتبعها أفراد الجماعة الأولية، ومن ثم ينتقل الفرد خلال عمليات معقدة، من الوعي بالذات وفهمها، أي من الدور البسيط المتمحور حول النفس (الذات)، إلى الوعي بالدور العام *general role*، وكما يقول يونغ *Young*: "إن نمو الدور العام أو عمّم مع الآخر *generalized other* بصورة واقعية يحفّز باشتراك الطفل في النشاطات الأولية التعاونية مع الآخرين، مثل اللعب والعمل. فريق العمل *teamwork* مطلب في الألعاب المنظمة، ولاحقاً في المهام الجدية تزوده بمنظومة اجتماعية مهمة لظهور الدور العام"^٤.

وهكذا يرى الباحث أن الفرد يتعرف على هويته مع الجماعة الأولية . الأسرة، العائلة . ومن ثم ينتقل إلى التعرف أو يحاط علماً *acquaint* بهويته الجماعية الكبيرة . القبيلة . أو الناس الذين يشعر أنه بينه وبينهم شبه قوى، مكوّن من مجموعة من العناصر: مثل الشكل واللون واللغة والتواجد في المكان الجغرافي المعين وما إلى ذلك، ثم يمكن الانتقال من الجماعة الكبيرة، إلى الجماعة الأكبر . الوطن . حيث يكون الارتباط هنا مزيج من الارتباط المبنى على تقييم عقلي واعي وبين العاطفة والارتباط النفسي. وليس بالضرورة أن تنفصل كل مرحلة من مراحل نمو الهوية وتكوّنها لتأتى تباعاً، وإنما يمكن أن تتداخل هذه العمليات بصورة معقدة.

^{١٨} داوسن . نفس المرجع سابق . ص ٦١

^٤ Young, Kimball: Social Psychology, London-Kegan Paul, Trench, Trubner & CO. , LTD. Broadway House, 68-74 Carter Lane, E.C.4 , 1946, P. 141

ثم تنشأ أيضاً عملية التعرف على الآخر والوعي به وبالفروق التي تجعلهما مختلفين أو متقاربين من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية وعمليات التكيف الثقافي والتميز *the cultural conditioning and prejudice*، وتتم عملية التمييز بين الفرد والمجموعات الأخرى. "وبذلك تصبح عملية إدراك الفرد للفرد الآخر الذي يتفاعل معه اجتماعياً عملية معقدة وخاصة، إذا قورنت بإدراك الفرد للأشياء المختلفة في بيئته المحيطة به، ولا يعتمد الإدراك على مجرد ما يراه الفرد في الفرد الآخر، وما يسمعه منه، بل يعتمد أيضاً على خصائص الموقف الذي تتم فيه عمليات التفاعل الاجتماعي، أو على نوع العلاقات التي تصل بين المتفاعلين في ذلك الموقف".^٥

لذلك، "تلعب المؤثرات الاجتماعية دوراً كبيراً في تكوين مفهوم الذات، ومن أهم هذه المؤثرات ما يلي:

- حب وعاطفة الوالدين.
 - كذلك الأفراد الآخرين خارج الأسرة يلعبون دوراً هاماً.
 - كذلك صورة الجسم والشكل والمظهر الخارجي والقدرة العقلية.
- وتختلف المعايير الاجتماعية في مجتمع من المجتمعات حسب السن والجنس والمركز الاجتماعي، فالمقبول في مجتمع ما لا يكون بالضرورة مقبول في مجتمع آخر".^٦
- إلى جانب ذلك هناك عمليات (نفس اجتماعية) *socio-psycho* متداخلة تلعب دوراً هاماً في التمييز بين العلاقات الخارجية (خارج إطار الأسرة)، والعلاقات الداخلية (في إطار الأسرة)، ومن خلال التمارين الجادة والغير جادة مثل تفاعلات الحب، أو البغض، الغيرة، الارتباط، أو النفور، التي تعمل بصورة خفية في تكوّن مفهوم الذات والذات الجماعية، "عند الشعور بأن مجموعتنا تتفصل عن الأخرى، وهذا يدعى مسافة اجتماعية *social distance* وتدل المسافة الاجتماعية على التبعية والتمثل *super ordination*، التي تشير إلى الميل للتحرك نحو جسم أو شخص أو الانسحاب، فهناك ازدواجية المواقف العاطفية التي قد تقترب من الحب أو الكراهية في الأشكال الأكثر تطرفاً، تعنى المسافة الاجتماعية كرهاً وتجنباً من ناحية، وودية وتماس مباشر من ناحية أخرى، تعنى تعاون *co-operation* أو تنافس *competition* وصراع *conflict*".^٧

الذات الجماعية

في إطار استمرارية تكوين الهوية يشعر الفرد على المستوى الفردي بعلاقة ما تربطه بالجماعة حتى أنه يصل إلى مرحلة تبني أفكارها وتصرفاتها وسلوكها ومعتقداتها. وهوية هؤلاء في مقابل هوية أولئك، فأن هناك نوع من الشعور ببعض القيم التي تميزني عن الآخر (الجماعة الأخرى)، ومن خلال هذا النوع من التفاعل قد يدرك أفراد الجماعة، أو أدرك أنا

^٥ فؤاد البيهي السيد. علم النفس الاجتماعي. دار الفكر العربي. القاهرة. ط٢. ١٩٩٣م. ص٢١١

^٦ مصطفى فهمي ومجد على القطان. علم النفس الاجتماع (دراسات نظرية وتطبيقية). مكتبة الخانجي. القاهرة. ط٣. ١٩٩٧م. ص٦٤

^٧ Ibid. p. 216

وجماعتى، أن هناك فرق بيننا وبين تلك الجماعة، رغم أن هناك وحدة تشابه كبيرة من حيث الناحية البيولوجية، وحتى النواحي المتعلقة بطرق التعبير، وهذا ما حد بتاييلور إلى الاستسلام إلى الوحدة البشرية في النظرية التطورية. إلا أنه في حالة تلاقى مجموعات بشرية، يحدث ما يعرف بـ التعريف والتمييز identification and differentiation، بين هذه الجماعات وتلك.

وينبني هذا التعريف على الفوارق أو الاختلافات الثقافية، من حيث الإنتاج الثقافي، والوعي والإدراك الثقافي. وتدرك كل جماعة أنها تختلف عن الأخرى ولها مميزات ذاتية داخلية من الناحية النفسية تميزها، ولها مميزات خارجية من الناحية الثقافية تميزها رغم الوحدة البيولوجية البشرية. إذن هل الهوية هي حالة ثقافية (مادية . لا مادية)؟ "يرى علماء النفس أن تمسك الجماعة والروح المعنوية، يتوقفان على مدى استمرار البنیان القائم، ويتوقف الاستقرار على توقعات كل فرد لدوره في الجماعة، وبذا يتكون الشعور بالإنتمائية"⁸.

وحول كيفية نمو الشعور بالانتماء إلى الجماعة، يرى مجدي أحمد، أن الشعور بالانتماء إلى الجماعة يعتبر احد المحركات الرئيسية أو الأساسية في تمسك الجماعة، حتى أن أحد التعريفات التي تقدم لهذا المفهوم هو: "شعور الأفراد بانتمائهم إلى جماعة وتحديثهم عنها بدلاً من تحديثهم عن ذواتهم، وسيادة الولاء بينهم، يعملون معاً في سبيل أهداف معينة ومشاركة يكون الأفراد على أتم استعداد لتحمل المسؤولية ويكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن أنفسهم وعن جماعتهم"⁹.

"ولا شك أنه عند بدأ تكوين الجماعة يكون هنالك من الأعضاء من تتعارض قيمه مع قيم الجماعة، فتحاول الجماعة دائماً اجتذابهم إلى مستوياتها، وكثيراً ما يضطر العضو إلى التخلي عن كثير من معتقداته في سبيل مواصلة العضوية في الجماعة، الذي قد يصل إلى درجة التخلي التام، وامتصاص معايير الجماعة، وقد يصبح أشد المعارضين لهذه المعايير، هو أشد الناس دفاعاً عنها وتمسكاً بها، مما يبين لنا قوة الجماعة في تغيير الاتجاهات النفسية للأفراد، وما دام الفرد يتقمص الجماعة التي ينتمي إليها، تصبح الجماعة أهم عامل في تغيير الاتجاهات"¹⁰.

كما وضح مم سبق أن الفرد الشخص . كما يذهب راد كليف براون للتمييز بين الفرد البيولوجي والشخص الأدوار الاجتماعية . يستوعب ذاته من خلال الأدوار التي يقوم بها، والتي تؤدي نحوه من المحيطين به (الأسرة . الجماعة . القبيلة) ومن ثم من خلال تعرفه على ذاته consciousness of self، والتحقق من قدراته ومهاراته الذاتية، يميز هويته الذاتية.

ومن خلال تعرفه على علاقته بالجماعة واستيعابه لمعاييرها ومعتقداتها وذوبانه فيها، والتعرف على قدراتها ومهاراتها، يدرك ذاته الجماعية، ومن ثم يدرك الهوية الجماعية، وهويته من خلال الجماعة، وفي هذا الإطار يقول سعد جلال: "من أهم المظاهر النفسية للجماعة أنها تمد الأفراد بالهوية الاجتماعية، ونعني بها أن كل فرد في الجماعة، يندمج مع غيره من الأفراد، ويكون كلُّ

⁸ سعد جلال. علم النفس الاجتماعي. منشأة المعارف بالإسكندرية. (د - ت). ص ٢٩٩

⁹ مجدي أحمد عبد الله. السلوك الاجتماعي ودينامياته (محاولة تفسيرية). دار المعرفة الجامعية. القاهرة. (د - ت). ص ١٢٠

¹⁰ سعد جلال. مرجع سابق. ص ٢٠٠

منهم بأنه و غيره أعضاء في جماعة واحده، وهنا يكون للعمق الوجداني والنفساني أهميته الجوهرية في تكون ما يمكن أن نسميه الأنا الجماعية، حيث أن العاطفة والحب الذي ينشأ بين الفرد والجماعة، والذي قد تكون له أسبابه الموضوعية أو غير الموضوعية، هذا الحب يجعل الفرد يمنح الجماعة درجة من التقديس، هذا الأمر يجعل الجماعة عظيمة في نفوس أعضائها بما فيها من رموز تمكن من التعرف عليها أو تكوينها في أذهانهم، وبالتالي تصبح محل اعتزاز وافتخار، حيث يشعر الفرد في دخيلة نفسه بنوع من العظمة والقدسية التي يرسمها للجماعة التي ينتمي إليها، وكلما لبّت الجماعة للفرد هذا الإحساس، كلما زاد ولاء لها والذي قد يصل إلى حد الذود والدفاع عنها ولو بالروح.

ولما كانت الجماعات تختلف فيما بينها من ناحية سهولة أو صعوبة العضوية فيها، فإن الجماعات تختلف فيما بينها في مركزها وسمعتها والشرف الذي تضفيه على أعضائها، ويمكن تفسير ذلك بأن هناك بعض الجماعات التي يصعب الحصول على عضويتها، وغالباً ينطبق هذا على الجماعات الثانوية، حيث أن عضويتها قد تتطلب بعض المواصفات أو المهارات أو السمات التي يجب توفرها في منتسبيها، وبالتالي كلما شعر الأفراد بصعوبة الانضمام لعضوية مثل هذه الجماعات، كلما اكتسبت هذه العضوية أنواع من الهيبة والقدسية في نفس بعض الأفراد، حيث أن الانتساب إليها يمنح الفرد مكانة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو كلها مجتمعة، وبهذا تحتل مثل هذه الجماعات حيزاً وجدانياً وفسانياً وعاطفياً،

إلا أن الجماعة الأولية والتي تتمثل في الأسرة والعائلة والقبيلة، تحظى بالقدر الأكبر من الولاء والانتماء، وكلما كان هناك توافق بينها وبين المجتمع المحيط بها، كلما حظي هو الآخر بالولاء والانتماء، وقد يساعد ذلك على تخلي الأفراد عن بعض ولاءهم المتعصب للقبيلة. وكلما شعر الجماعة بالعزلة الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية وما شابه ذلك، كلما زاد هذا من تماسكها وتطويرها أساليب تعبئة الضمير الجمعي والتمحور حول الذات الجماعية.

وهكذا نجد أن الهوية تتعرض لآثار القوى التي تقع عليها من البيئة الخارجية، فالخطر الخارجي يقوى عادة من توحد الأفراد مع جماعتهم، فمن الثابت أن المواطنين إذا ما تعرض الوطن للخطر يزداد شعورهم مع هذا الوطن وبقضيته^{١١}، فأفراد المجتمع قد لا يكونوا جميعاً على وفاق مع الإدارة السياسية التي تحكم المجتمع، وقد يكونوا كارهين البقاء معها في المساحة الجغرافية التي تقع تحت سيطرتها أو يبتعدوا عن أوطانهم بالهجرة أو الاغتراب، إلا أنه حين يتعرض الوطن لضغوط أو هجوم خارجي تتوحد هذه المشاعر، وذلك بسبب العاطفة التي تظل كامنة في نفوس الأفراد والإحساس بالملكية الذي يدعم هذه العاطفة، وأن ملكيتهم لمجتمعهم تتعرض للانتهاك،

^{١١} المرجع السابق. ص ٢١٧

وهذا يشير إلى أن العاطفة تكون للمجتمع والوطن وليس لأشخاص بعينهم، "من ناحية أخرى قد تكون عضوية الفرد في الجماعة إما مفروضة أو مكتسبة"^{١٢}.

مما سبق يتضح أن الهوية هي التعرف على مهارات ومقدرات وإمكانيات الذات على المستوى الفردي أولاً، أو تكون الشخصية أو إضفاء طابع الشخصية personalization بمعنى الأدوار الاجتماعية التي تمثلها الفرد. وترتبط هذه بالعديد من العمليات المعقد في العلاقة مع الآخر، ابتداء من الجماعة الأولية (الأسرة) وتقييم وتمييز الرموز والشفرات المنطوقة والغير منطوقة عبر اللغة لتلك العلاقة، مروراً بعلاقات متداخلة مع الجماعات الأخر خارج نطاق الأسرة، ومن خلال تلك الرموز والشفرات يدرك بعض الفوارق بينه وبين من ينتمي إلى الجماعات الأخرى، وعندما تتجمع كل هذه العمليات لدى مجموع الأفراد (الأشخاص)، تظهر ذات (هوية) الجماعة.

تعريف الوطن، الوطنية والهوية

يعرّف مصطلح الوطن لغة واصطلاحاً كما يلي: في اللغة قال ابن منظور في لسان العرب الوطن: المنزل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان، ومحلّه، يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه. وقال الزبيدي: الوطن منزل الإقامة من الإنسان، ومحلّه، وجمعها أوطان. وعرفه الجرجاني في الاصطلاح بقوله: الوطن الأصلي هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه.

وفي الموسوعات والمعاجم السياسية لا يختلف عن المعنى اللغوي، المعجم الفلسفي يقول: الوطن بالمنى العام منزل الإقامة. والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد فيه الإنسان، أو نشأ فيه. في معجم المصطلحات السياسية الدولية: الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها، وانتمائه إليها^{١٩}.

ويعرّف محمد عمارة الوطن motherland من خلال الوطنية patriotism فيقول: الوطنية هي المشاعر والروابط الفطرية . التي تنمو بالاكْتساب . لتشد الإنسان إلى الوطن الذي استوطنه وتوطن فيه. والوطن كما جاء في (اللسان) لابن منظور، هو: المنزل الذي يمثل موطن الإنسان ومحلّه، و(وطن بالمكان وأوطن)، أقام متخذاً إياه محلاً وسكناً يقيم فيه. ولا يغير من علاقة الوطنية التي تربط الإنسان بوطنه إقامته الاختيارية أو القسرية في مواطن أخرى غير وطنه الأصلي.

ويلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى التعبير عن الوطن بمصطلح (الديار) ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرهؤم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة ٨) لذلك شاع في التراث الإسلامي التعبير عن الوطن الإسلامي (بدار الإسلام وديار

^{١٢} المرجع السابق. ص ٢١٩
^{١٩} "أوراق عمل" اللقاء الرابع لرؤساء أقسام التوعية الإسلامية في إدارات التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ١ - ٣ ذي القعدة ١٤٢٥هـ، ص ٤

الإسلام). كذلك السنة النبوية الشريفة جمعت بين مصطلحي الوطن والدار (هي وطني ودار)، كما جمعت بين الوطن والبلاد (ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم). ونجد أن المعاجم العربية لم تقف فقط عند التعريف اللغوي للوطن وإنما أشارت أيضاً إلى فطرة الوطنية التي تجمع بالحب بين الإنسان ووطنه . الزمخشري يقول: وكلّ يحب وطنه وأوطانه وموطنه .. كما أن الوطن الأصلي عند أهل الشرع يسمى بالأهلي ووطن الفطرة والقرار، فيه يكون مولد الإنسان ومأهله ومنشأه^{٢٠}.

يرى على ليلة أن للمواطنة شروط يجب توفرها، ويستعرض قائلاً: ساعد التطور التاريخي لمتغير المواطنة، والمفهوم المعبر عنه إلى بلورة بناء هذا المتغير، بحيث يضم هذا البناء مجموعة من العناصر الأساسية التي يشير مدى توفرها إلى اعتبار ذلك مقياس على مدى اكتمال المواطنة أو اختزال بعض جوانبها. في هذا الإطار يعتبر اكتمال نمو الدولة ذاتها، بعداً أساسياً من أبعاد نمو المواطنة.

- ويتحدد نمو الدولة بامتلاكها لثقافة الدولة التي تؤكد على المشاركة، والديمقراطية، والمساواة أمام القانون.
 - يتحدد الشرط أو المقوم الثاني للمواطنة في ارتباط المواطنة بالديمقراطية، ذلك باعتبار أن الديمقراطية هي الحاضنة الأولى لمبدأ المواطنة.
 - ويتحدد المقوم الثالث للمواطنة في اعتبارها تستند إلى تمتع المواطنين بكافة الحقوق السياسية، والقانونية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.
- وهذا يعنى قيام عقد اجتماعي يؤكد على أن المواطنة في الأمة هي مصدر كل الحقوق والواجبات^{٢١}.

ويستعرض أيضاً محمد محمود العمر في تضاد الهويتين بين ثقافية الأمة وقانونية الوطنية بعض أسس الوطنية، يقول: لا تقيم المواطنة على أساسها الحضاري إلا بنهوض الدول وقيام السلطة مع الحرية وبساطة الاختيار في إطار العقد الاجتماع الذي يؤلف بين الناس كافة في مجتمعاته. وإن تلاشى الدولة في الحس الوجداني، وضعف سلطتها وكفالة مصالحها، يعيد التجمعات الإنسانية إلى حالاتها الاجتماعية البدائية، وتنزوي إنتمائها إلى الخصوصيات التي تفرق، لا العموميات التي تجمع بين الناس.

وأن تحكم السلطة بتحديد معايير المواطنة ودرجاتها في الوجدان العام، من جهة الانتماء إليه، لا الانتماء إلى الدولة وحماية أسباب قيامها، يضعف لا ريب من مساحات الولاء المتحضر إلى الدولة ما اختلط في الوعي العام للسلطة بالدولة.

مثل هذه الحالات يغدو ممكناً أن يهز تشابك المجتمع لا بأزمة سياسية بل بمباراة كرة قدم^{٢٢}.

^{٢٠} الوطنية كائن هلامي : " كتاب المعرفة ١٠ " ، محمد عمارة : الروح الوطنية روح الحياة ، الرياض ، روناء للإعلام المتخصص ، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، ص ٣٣ - ٣٥
^{٢١} على ليلة : المجتمع المدني العربي - قضايا المواطنة و حقوق الإنسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ، ٨٩ - ٩٠

ويرى الباحث أن الباحثان السابقان قد عالجا موضوع المواطنة من خلال علاقته بالدولة والديمقراطية، والحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي يجب أن تتوفر مقوماته في الدولة، وقد ناقشت الدكتورة هبة رءوف عزت، من خلال محور الليبرالية التي ترى أنها خلال مسيرتها طورت المواطنة patriotism خيارات الفرد إلى أن تكون خياراته المطلقة وهواه، مرجع لجميع خياراته الحياتية، حتى أصبح ذلك هو جوهر المفهوم الليبرالي ، وتقول: قد شهد هذا المفهوم تغيرات عديدة في مضمونه واستخداماته ودلالاته، فلم يعد فقط يصف العلاقة بين الفرد والدولة في شقها السياسي والقانوني كما ساد سابقاً، بل تدل القراءة في الأدبيات والدراسات السياسية الحديثة على عودة الاهتمام بمفهوم المواطنة في حقل النظرية السياسية، بعد أن طغى الاهتمام بدراسة مفهوم الدولة مع نهاية الثمانينيات، ويرجع ذلك لعدة عوامل، أبرزها الأزمة التي تعرضت لها فكرة الدولة القومية التي مثلت ركيزة الفكر الليبرالي لفترة طويلة، وذلك نتيجة عدة تحولات شهدتها نهاية القرن العشرين^{٢٣}.

ويناقدش بروفيسر جعفر شيخ إدريس، موضوع المواطنة والهوية حيث يرى أن: المواطنة انتساب جغرافي، والهوية انتساب ثقافي. المواطنة انتساب إلى أرض معينة، والهوية انتساب إلى معتقدات وقيم ومعايير معينة، وقد ناقش العلاقة بينهما، الهوية لازمة للمواطنة لأن المواطنين لا بد لهم من نظام سياسي، وعلاقات اقتصادية واجتماعية، وقوانين تضبط هذه العلاقات، وكل هذا إنما يبني على معتقدات وقيم ومعايير، أي على هوية معينة. ويرى أن الوطن لا يحدد هوية المواطنين ضارباً مثال بالروس، الذين بقوا هم الروس أنفسهم رغم التغيرات التي حدثت في الإتحاد السوفيتي، وعلى ذلك يقول: أن الهوية هي النظارة التي يرى من خلالها المواطنون ما هو مناسب أو غير مناسب، صالح أو غير صالح لوطنهم، وإذا اختلفت النظارات اختلف تقويم الناظرين. وإذا صح هذا فإن المواطنين مهما كان إخلاصهم لوطنهم وحرصهم على مصلحته، لا يمكن أن ينظروا إلى تلك المصلحة باعتبارهم مواطنين فقط، بل لا بد أن ينظروا إليها بحسب هوياتهم، ويرى أن فشل حل المشكلات إنما يحدث لأن الناس يجلسون بناء على انتمائهم الوطني فقط، مثلاً (نجلس كسودانيين فقط، أو سوريين فقط) وينسون انتماءاتهم الدينية والأيدولوجية^{٢٤}.

وفي إطار علاقة الهوية بالثقافة يقول المزروعى: الوطنية ربما تشغل بالدفاع عن ثقافة بشكل أساسي. وفي كثير من هذه الحالات يمكن دعم الوطنية أحياناً خلال (النستولوجيا) السياسية، أي إيجاد ذاكرة مثالية عن الماضي مع الرغبة في إحياءها. أكثر وطنية نجحت على أساس النستولوجيا هي الحركة الصهيونية (نجحت في بناء إسرائيل) جديدة على أساس المثال

^{٢٣} الوطنية كائن هلامي : " كتاب المعرفة ١٠ " ، محمد محمود العمر : تضاد الهويتين - ثقافية الأمة و قانونية الوطنية ، الرياض ، رواء للإعلام المتخصص ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص ص ٨٢ - ٨٣

^{٢٤} هبة رءوف عزت : المواطنة بين المثاليات الجماعية و أساطير الفردية

<http://www.islamonline.net/arabic/mafaheem/2002/05/article2.shtml>

^{٢٤} جعفر شيخ إدريس : المواطنة و الهوية ، <http://www.jaafaridris.com/Arabic/aarticles/almuatana.htm>

التاريخي^{٢٥}، قد يضطر أهل بعض الثقافات (الهويات) من إعادة الذاكرة في المثال التاريخي، من أجل المحافظة على البقاء في مجال تتكاثر multiplying swelling فيه الميول إلى التمحور القبلي . حالة الجنوب والشمال في السودان، الشمال والعناصر الأخرى دارفور .. . الوطنية أيضاً يمكن حفظها من خلال ذاكرة سلبية عن الماضي خصوصاً الإحساس بالمأساة بسبب تجربة معينة^{٢٦}.

الهوية والوطنية

بناءً على المعاني التي أورده الباحث في المبحث السابق حول معنى الوطن Motherland، والموتنة Citizenship، والوطنية Patriotism، حيث الوطن كما بينّ الزبيدي والجرجاني والمعجم الفلسفي، ومعجم المصطلحات السياسية هو: منزل الإقامة من الإنسان، والوطن الأصلي هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد فيه الإنسان، أو نشأ فيه. كذلك هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها، وانتهائه إليه، يكون من الواضح ارتباط الوطنية بالمكان والزمان والجماعة الاجتماعية الثقافية التي يشعر المرء بارتباطه بها، وانتماءه إليها، وهذا يعنى أن هناك صلة وطيدة بين الهوية والمعيشة والدولة، "المكان وأثر الجغرافية الطبيعية في النشاطات الاجتماعية والأمزجة والتقاليد، خبرة العشيرة أو العشائر ككل في مجال جغرافي اجتماعي معين لديها أو لدى آخرين. حالة النشاط المجتمعي الموائم بعضه ببعضه الآخر"^{٢٧}، كما أن الوجود الفاعل للإنسان، بحيث يتم تحقيقه أو تغريبه عن هذا الوجود من خلال عدة عوامل وحالات محلية ودولية، "طبيعة المجالات المحلية والدولية للجغرافية البشرية، وإمكانية معرفة هذه المجالات، وإمكانية الوعي بطبيعتها وتاريخها وحركة وجودها، كذلك التصورات الناتجة عن خلل مصادر أو جهات المعرفة وما يتصل بها من استلاب وتغريب، طبيعة القوى والمصالح الاجتماعية والوسائل القائمة على إصباح المجتمع والدولة"^{٢٨}، من هنا يرى الباحث أن الهوية الوطنية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمجموعة العوامل الاجتماعية، والتي أداها العلاقات على مستوى الأسرة، وأغلاها يمتد إلى كل من يشارك في التواجد في نفس الزمان والمكان، والاقتصادية والتي يرتبط انتعاشها أو تدهورها ارتباطاً عكسياً على مستوى الأفراد والدولة،

^{٢٥} الوطنية كائن هلامي : " كتاب المعرفة ١٠ " ، على مزروعى : الوطنية العربية فى القرن ٢١ (ستظهر مرة أخرى و تسقط) ، الرياض ، رواء للإعلام المتخصص ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ص ٢٧

^{٢٦} نفس المرجع السابق : ص ٢٧

^{٢٧} المنصور جعفر : هوية الأزمة فى موضوع أزمة الهوية ، مصدر سابق

^{٢٨} نفس المصدر السابق

والسياسية حيث أن الاستقرار والطمأنينة والأمن من العوامل التي تقوى ارتباط الأشخاص بالمكان.

وبتصور آخر، فإن الهوية الوطنية هي خليط أكثر تعقيداً من الهوية الثقافية، حيث أن العوامل التي تلعب دوراً محورياً في تكوين وتشكيل الهوية الوطنية هي، مجموع الثقافة بمكوناتها المتشعبة والمعقدة، إلى جانب عامل الرضاء المعيشي على المستوى الاقتصادي، بالإضافة إلى استقرار الأوضاع السياسية وتوفير الحقوق المدنية والدستورية التي تكفل للمواطن الشعور بالحق، وبإمكانية المشاركة الإيجابية.

"ولعل من نافلة القول أن تحديد طبيعة المفاهيم الاجتماعية والسياسية العامة، ومفهوم الهوية الوطنية من أهمها، هو بحث في ماهيات مؤسسة على وجود متحقق وعيني. إن الفرد يوجد في مجتمع ما أولاً ثم يكتسب هويته أو ماهيته لاحقاً، بمعنى أن الهوية ليست معطى مقدساً وثابتاً ونهائياً، وإنما هي معطى تاريخي في حالة صيرورة وحركة دائمين، ولذلك فهو عرضة للمراجعة والنقد والتقدم لجعله أكثر فاعلية في أداء وظائفه الأساسية، في توحيد المجتمع وتحديد من ينتسبون إليه وتمييزهم عن سواهم.

هناك قول بأن: ليس للهوية قيمة في حد ذاتها أو فيما تخلق من شعور بالخصوصية، وإنما تتبع قيمتها مما يقدمه الإطار الذي تخلقه من فرص حقيقية للتقدم وتوسيع هامش المبادرة التاريخية للشعوب والجماعات التي تنطوي تحت شعارها، وهذا يعنى ضرورة البحث في ماهية مقومات الهوية وصولاً إلى حديد ما تقرضه"^{٢٩}.

التأثيرات الخارجية على الهوية الوطنية

تأثيرات العولمة

تختلف تعاريف العولمة بين المفكرين، حيث يركز كثير من الكتاب على الجانب الاقتصادي، بعضهم بين خطورتها، والبعض الآخر يبشر بها، وبعض الكتاب يركز على الجانب الثقافي وأضراره. ومع اختلاف تعاريف العولمة إلا أنها تأخذ عدة ظواهر:

. التقدم الهائل في وسائل الاتصال.

^{٢٩} باقر جاسم محمد : الهوية الوطنية - محاولة في التعريف الوظيفي ، <http://www.balagh.com/islam/u10s34a5.htm>

. هيمنة الغرب لاسيما أمريكا.

. بروز المؤتمرات المؤسسات الدولية والشركات متعددة الجنسيات

وهذه التعريفات تتباين في دراجة قبولها، وخطورتها. ففي الجانب الثقافي ربما سموها اختراقاً كما فعل الدكتور محمد عابد الجابري حيث قال: إن العولمة تعنى نفى الآخر، وإحلال الاختراق الثقافي، والهيمنة وفرض نمط واحد للاستهلاك والسلوك. ويقول الدكتور سعد البازعي: العولمة هي الاستعمار بثوب جديد. ويقول حسن حنفي: يتم تصدير صراعات الحضارة للنطق بما كان مسكوت عنه سلفاً و تحويل العالم إلى دوائر حضارية متجاوزة، ومتصارعة على مستوى الثقافات لإخفاء الصراع حول المصالح والثروات، وإلهاء الشعوب الهامشية بثقافتها التقليدية، بينما حضارات المركز تجمع الأسواق"^{٣٠}.

ومن خلال طرح حسن حنفي تظهر ملامح خريطة الطريق المؤدية إلى مستقبل ثقافات وتقاليد، بل وهوية الشعوب، التي سوف تُزال بأيدي تلك الشعوب عن طريق الصراعات . المفتعلة . المرتكزة على التنوع والتباين، مع اندثار الجوامع المشتركة التي تربط بينها، تحت تراكبات الضغائن والأحقاد والغبن، من خلال هذه الزاوية الواقعية للرؤية، يثار سؤال حول إشكالية الهوية في عصر العولمة، يكشف عن المخاوف العميقة مما سوف تؤدي إليه تيارات العولمة، وتأثيراتها على الثقافات والهويات الحضارية خصوصاً المجتمعات غير الأوروبية. تلك المشكلة العالمية التي لم تسلم منها الدول النامية والمتقدمة على السواء.

سياسات بناء هوية عولمية

في إطار علاقة الهوية بالعولمة، نجد أن سياسات الهوية identity politics هي: "إجراء سياسي لإدعاء حقوق الإنسان، وذلك بسبب إنكار أعضاء مجموعة بسبب هوية أو خاصية مشتركة حقيقية أو مفترضة supposed مثل العرق race أو النوع gender. هذا التعبير استعمل أساساً في السياسة الأمريكية منذ السبعينيات، إن أفضل هدف لسياسة الهوية هو الولايات المتحدة حيث تحرر المجموعات من التمييز المصحوب بالبغض باحترام حقوق الإنسان، وكذلك ملاحظات كرينشو Crenshaw عن التوتر tension مع المفاهيم المهيمنة للعدالة الاجتماعية المرتكزة على الحقوق العالمية.

^{٣٠}Identity in Sociology, <http://en.wikipedia.org/wiki/Identity>

ويرى آرثر شليسنجر Arthur Schlesinger . وهو احد العلماء التحرريين . في كتابه (بعثرة أمريكا Disuniting of America) أن استناد السياسات على مفهوم الذات self-identifying كجزء من تهميش مجموعة لتستوعب أنها خارج الاتجاه العام للمجتمع يتسبب في خلق قاعدة مشتركة للموقف لدى هذه المجموعة، لذا تعمل هذه المجموعة ضد أي فرص حقيقية لإنهاء هذا التهميش marginalization، فهناك مجموعة مختلفة من الأهداف المضمنة في تعبير سياسات الهوية، وهي أهداف المجموعات الانفصالية أو القومية لتقرير المصير self-determination، وتقرير المصير الوطني national self-determination، المعرف جيداً في القانون الدولي، ومُعترف به في ميثاق الأمم المتحدة . وتدعيم لما قال به حسن حنفي في موضع سابق حول تصدير صراعات الثقافات، وانشغال مجتمعات الهامش بمشاكلها . إن الرغبة في الحكم الذاتي autonomy لدى المجموعات الثقافية أو العرقية عادة ما يشار إليه بمصطلحات مثل انفصالي separatist أو قومي nationalist^{٣١} .

وفي ذات الاتجاه تحت العنوان الجانبي (تلمس الطريق نحو التجمع: سياسة الهوية) لصامويل هنتجتون في كتابه صدام الحضارات يقول: "السياسة الكونية يعاد تشكيلها الآن على امتداد الخطوط الثقافية، مدفوعة بالتحديث، الشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد. الإنحيازات التي تعتمد على الأيديولوجية والعلاقات مع القوى الكبرى تفسح الطريق لتلك التي تعتمد على الثقافة والحضارة، والحدود السياسية يعاد رسمها كي تتوافق مع الحدود الثقافية العرقية والدينية والحضارية"^{٣٢}، "هناك مخطط لتقسيم القارة الإفريقية، ويقوم هذا المخطط على تقسيم القارة إلى ست دول بناء على مقاييس للتجانس الثقافي والديني، وفي هذه الخريطة السياسية تبدو معالم الخريطة الجديدة، حيث تقترح الورقة التي قدمت في مؤتمر كمباله ١٩٩٤م، إلغاء حدود جميع الدول الإفريقية وتقسيم القارة على النحو التالي:

١. جمهورية الصحراء، وتمتد من مصر حتى موريتانيا وتضم الجزء الشمالي من السودان.
٢. جمهورية إفريقيا الوسطى، وتضم أوغندا وكينيا وزائير وتشاد والكاميرون والكونغو وإفريقيا الوسطى، وتضم الجزء الجنوبي من السودان.
٣. جمهورية سغانمبيريا sengamperia، وتضم دول الحزام السوداني من السنغال إلى نيجيريا مع استبعاد السودان.

^{٣١} Identity Politics, http://en.wikipedia.org/wiki/Identity_Politics

^{٣٢} صامويل هنتجتون: صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط٢، ١٩٩٨م، ص ٢٠٣

٤. جمهورية إريثوميا، وتضم دول القرن الإفريقي إثيوبيا وإريتريا والصومال وجيبوتي مع استبعاد السودان.

٥. الجمهورية السواحيلية، وتضم الدول الناطقة باللغة السواحيلية.

٦. جمهورية موزمبيا ، وتضم كل دول الجنوب الإفريقي^{٣٣}.

ويواصل هنتجتون: "المجتمعات الثقافية تحل محل تكتلات الحرب الباردة، وخطوط التقسيم بين الحضارات أصبحت هي خطوط الصراع الرئيسية في السياسة العالمية. في العالم الجديد، أصبحت الهوية الثقافية هي العامل الرئيسي في تحديد صداقات دولة ما وعداواتها، السؤال إلى أي جانب أنت؟ حل محله سؤال: من أنت؟ وعلى كل دولة أن تجد له إجابة، هذه الإجابة هي هويتها الثقافية، وهي التي تحدد مكان الدول في السياسة العالمية.

البروز المتزايد للهوية الثقافية على المستويات الدنيا يقوى بروزها على المستويات العليا، فالبروز المتزايد للهوية الثقافية، هو نتيجة للتحديث الاجتماعي والاقتصادي على مستوى الفرد، حيث يخلق التشويش والاعتراب حاجة إلى هويات أكثر معنى، حيث تدفع القدرات الزائدة وقوة المجتمعات غير الغربية إلى إعادة تنشيط الهويات والثقافات الأصلية^{٣٤}، ومما تقدم يتضح الدور المهم للسياسة الدولية (العولمة) في إعادة صيغة العلاقات القائمة على أساس الهوية الثقافية، والمعتمدة على آليات الصراع الفطري بين البشر كأساس، ويعزز هنتجتون هذا القول، كليا وجود الصراع، فالكره شيء إنساني، ولتعريف النفس ودفعها يحتاج الناس إلى أعداء منافسين في العمل، خصوصا في الإنجاز، وفي السياسة، ومن الطبيعي ألا يثق الناس في المختلفين عنهم، ومن لديهم القدرة على إلحاق الضرر بهم، بل يرونهم خطراً عليهم.

حل صراع ما، أو اختفاء عدو ما، يولد قوى شخصية واجتماعية وسياسية، تؤدي إلى نشوء صراعات جديدة، أو أعداء جدد. نزعة ال (نحن) وال (هم) كما يقول على المرزوعي عامة تقريبا في عالم السياسة^{٣٥}.

من ناحية أخرى يرى فوكوياما، أنه في إطار عولمة السياسة والاقتصاد في الإطار الليبرالي، ومع التقدم في التصنيع والتعليم، يرتفع المستوى المعيشي والتعليم ويصبح تفكير الناس علمياً، فتظهر المطالبات التي أهمها الاعتراف والتقدير، ويرى أن "إدراك أهمية الرغبة في الاعتراف

^{٣٣} مدوح الشيخ : الإفريقية والعروبة - صراع دارفور في مرآة الهوية ،

<http://www.islamonline.net/arabic/arts/2004/>

^{٣٤} صامويل هنتجتون : صدام الحضارات ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠٣ - ٢٠٩

^{٣٥} علي المزروعى. نفس المرجع السابق: ص ٢١١

والتقدير باعتبارها محركاً للتاريخ، ينتج إعادة تفسير الكثير من الظواهر التي تبدو مع ذلك مألوفة لدينا، كالثقافة والدين، والعمل، والقومية، والحرب"^{٣٦}.

ومن هنا تنشأ عملية اعتزاز الأفراد بأنفسهم كأفراد على المستوى الشخصي، واعتزازهم بأنفسهم كأعضاء في جماعة (مجتمع)، واعتزاز المجتمع بنفسه كمرحلة تشبه (الدش) الذي يأخذ الماء من أسفل ويرشها إلى أسفل لتعاد إليه مرة أخرى، ويفعل نفس الفعل، هي تغذية الارتباط الداخلي أو الضيق أو (القبيلة)، وتصيح عملية البحث عن العدو مستمرة تجاه الأقارب في الفصائل المكونة للقبيلة الواحدة، "ومع ازدياد العنف فإن القضايا المتنازع عليها تنجح إلى أن يعاد تحديدها على وجه الحصر ب (نحن) و(هم) حيث يتعزز تمسك الجماعة والتزامها. ويظهر (محرك ضغينة)، حيث تتغذى المخاوف المتبادلة وعدم الثقة والضغائن بعضها على بعض.

وفي الحروب، تذوب الهويات المتعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة أو غالباً ما تحدد هذه الهوية دائماً بالدين"^{٣٧}، ويعزز هيجل الزعم الأخير حيث، "تلعب الحرب عند هيجل دوراً خطيراً، فإن لها عنده مغزىً داخلياً ومغزىً خارجياً، فبالحرب يكون على الدولة أن تفسد نظامها الرتيب حتى لا تتجمد، إنها ليست علاقة كراهية إنسان لإنسان، وإنما هي شروط للصحة المعنوية للشعوب، مثلها (مثل الرياح التي تحفظ مياه البحيرات حتى لا تأسن)، وتاريخ البشرية هو جدلية منطقية لأنه تاريخ فاجع، حيث تتواجه الشعوب، وباستمرار هناك موت وصيرورة، وهكذا تستكمل روح العام تطورها"^{٣٨}.

يرى الباحث أن التحليل . التاريخي القديم . لعمليات استمرارية وجود الناس، أو الثقافات أو الحضارات، وأسباب الصراع والحرب، هي محاولات تأكيد الهوية ووجودها واستمراريتها دون أن تذوب أو تفنى، لذلك تقوم الهويات الثقافية والحضارية الأكثر إحساساً بالضعف بالحرب على ثقافات أقوى منها، وليس بالضرورة أن تكون الحرب بالأسلحة النارية فقط، بل يمكن أن تبدأ بأسلحة أخرى (فكرية . ثقافية . أخلاقية). بذلك تصبح الثقافة التي كانت تعاني الضعف قوية والتي كانت قوية تضعف، وتبدأ بالبحث عن إرثها ومكوناتها التاريخية لتشنح بها وجدان الأفراد

^{٣٦} فرانسيس فوكوياما : نهاية التاريخ و خاتم البشر ، ترجمة حسين أحمد أمين ، مركز الأهرام للترجمة و النشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ١٤ - ١٥

^{٣٧} نفس المرجع السابق : ص ٤٣١ - ٤٣٣

^{٣٨} مجلة الفكر المعاصر : هيجل في القرن العشرين ، العدد ٦٧ ، سبتمبر ١٩٧٠م ، (فؤاد موسى : الدولة عند هيجل) ، ص ٤٨ -

ليقوموا بإعادة النشاط والقوة لثقافتهم، وهذا قد يفسر تنامي إعادة تنظيم القبائل لنفسها في السودان.

ويطرح السيد يسين سؤال يرى أنه مهم: "لماذا الآن ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين يثور موضوع الهوية في كل مكان؟ . ويجيب . هناك أسباب متعددة سياسية واقتصادية وثقافية، ولعل أول هذه الأسباب هو سقوط الإتحاد السوفيتي وبلاد الكتلة الاشتراكية. انفجرت نزاعات الهوية المكتومة، وعبرت عن نفسها ثقافياً وسياسياً. نادى الجماعات العرقية المختلفة بحقها في الحفاظ على خصوصيتها الثقافية، وطالبت بعضها بالانفصال عن الدولة الأم، وحقها في الحكم الذاتي. وتحقق ذلك في حالات معددة بالتفاوض السلمي أحياناً، وبالصرع الدموي والحرب الأهلية أحياناً أخرى.

من ناحية أخرى رغم نجاح المخططين الأمريكيين في تحقيق أهداف إستراتيجية (بوتقة الانصهار Melting pot) إلا أنه عبر الزمن ولأسباب شتى عادت كل جماعة عرقية للبحث عن جذورها الثقافية، ولعل الذي دفعها لذلك ثورة الأفارقة الأمريكيين، فسقطت إستراتيجية بوتقة الانصهار وظهر بديلاً عنها، ما يطلق عليه الثقافات المتعددة multi-cultures، وانعكست هذه السياسة الثقافية الجديدة على مفاهيم المواطنة والهوية، بل أن المقررات الجامعية ذاتها تغيرت جوهرياً تحت وطأة مطالبات ممثلي الأقوام المتعددين، أن يكون لتاريخ أقوامهم نصيب عادل في البحث والتدريس^{٣٩}، ويتساءل الباحث عن دور التعليم في مساعدة تكوين وتماسك الهوية الوطنية؟ وماذا يحدث في الجامعات السودانية يصب في هذا الاتجاه أو غيره؟ حيث أن مقررات ومناهج مدارس الأساس والثانوي في السودان لا توجد فيها مقررات للتربية الوطنية كمقررات متخصصة لهذا الغرض، كما أن المقررات الحالية، بل وتاريخ السودان المكتوب نفسه لا يستوعب في مضمونه التعددية الثقافية، مما يجعل التعليم في السودان لا يلعب الدور المنوط به لخلق هوية وطنية مشتركة إلى جانب دوره الأكاديمي، وهكذا يصل الطلاب إلى الجامعات كل يحمل هوية قبيلته أو جهته.

التأثيرات الداخلية على الهوية الوطنية

^{٣٩} السيد يسين : إعادة اختراع السياسة من الحداثة إلى العولمة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦م ، ص ١٥٢ - ١٥٥

إن الموقع الجغرافي للسودان إلى جانب وجود نهر النيل، جعله معبر وقبلة للعديد من الأقاليم عبر التاريخ، الذين وجدوا فيه مستقر ومتاع، وعلى هذا النحو يقدم مروان الجبوري تصوراً للتوحد الثقافي في السودان منذ فجر التاريخ فيقول: "لم يكن السودان المعروف اليوم بجغرافيته يمثل كياناً سياسياً أو ثقافياً موحداً قبل دخول العرب، فقد كانت تتوزع فيه أعراق متنوعة وعقائد وأديان مختلفة وممالك، ففي الشمال حيث يعيش النوبيون كانت تنتشر المسيحية الأرثوذكسية كعقيدة واللغة النوبية بلهجاتها المختلفة كلغة للسياسة والثقافة والخطاب، أما في شرق السودان فتعيش قبائل البجة وهي من الأقاليم الحامية، ولها لغة خاصة وثقافة منفصلة.

ومع اتجاهنا جنوباً نجد القبائل الزنجية بساحتها المميزة ولغاتها الخاصة، وكذلك الحال في غرب السودان. وقد أحدث دخول العرب السودان انقلاباً هائلاً في هوية هذه المنطقة، إذ ولدت مع دخول العرب الهوية السودانية الجامعة لتلك الأقاليم والقبائل المختلفة، حيث أصبح الإسلام هو الوعاء الرئيسي الجامع لمعظم تلك الشعوب، وأصبحت اللغة العربية لغة العلم والتخاطب بين القبائل المختلفة، فكانت بذلك عاملاً توحيدياً على الصعيد الديني والسياسي والاجتماعي.

اتفاقية البق ٦٥٢ للهجرة، مكّنت للنفوذ العربي، تحالف العبدلاب العربية مع الفونج الزنجية، ولعل الأخيرة هي التي صبغت السودان بالصبغة الإسلامية، وأعطت الانتماء الحضاري العربي، فقد شكل هذا التحالف ميلاد الهوية السودانية الحديثة بشقيها العربي الزنجي، وقد غدّت الدولة المهدية الشق العربي في الثقافة السودانية، وفي تلك الفترة ولد السودان الذي نعرفه اليوم بملامحه المعروفة. ظل الوضع كذلك في فترة الاستعمار البريطاني، وبعد تأسيس الأحزاب السودانية الكبرى الأمة (الأنصار) والشعب (الخنمية . الإتحاد الديمقراطي لاحقاً)، بدأ سؤال الهوية يطرح نفسه، وبقوة: من نحن؟^{٤٠}.

السودان ذلك القطر المترامي الأطراف، الزاخر بمئات الثقافات ومئات من اللغات، والذي يعتبر ملتقى تلاقح وبوتقة صهر . ليس على المنوال الأمريكي الذي يرمى إلى توحد الشخصيات في شخصية واحدة . ولكن صهر ثقافي اجتماعي، مع المحافظة على جوهر الثقافة الأصلي لدى المجموعات، أو قبول بعض الأنماط الناتجة عن التلاحح لتكون ضمن المكونات الثقافية القومية السائدة، ورغم المقولات بأن هذا التلاحح كوّن قواسم ثقافية وقيمية مشتركة بين أهل السودان، إلا أن السياسة التي انتهجتها الحكومات الوطنية منذ الاستقلال إلى جانب التدخلات الأجنبية، لعبت

^{٤٠} مروان الجبوري : السودانية ، صراع ما بعد السلام ، ٢٠٠٥م ، <http://www.islamonline.net/arabic/arts/2005/03/>

دوراً ما فيما يتعلق بالعلاقات بين السودانيين، فأصبحت تسمية السودان والتنوع الثقافي والاجتماعي وما إلى ذلك، عوامل صراعية حول موضوعات متنوعة من أهمها موضوع الهوية.

استفاد الاستعمار البريطاني عن طريق علم الأنثروبولوجيا، من بعض المعطيات الثقافية والاجتماعية والسكانية، لخلق نقاط الضعف في شبكة العلاقات بين سكان المنطقة التي عرفت باسم السودان، لتتمزق الواحدة تلو الأخرى حسب مواقيت زمنية محددة عبر السنين، مستفيد من التعددية الثقافية التي لها سيئاتها مثلما لها حسناتها، "إن المشكلة الأساسية الناجمة عن التعددية العرقية تعتبر هي الأوضح في السودان، حيث يصنف الإنسان في السودان أولاً على الأساس العرقي، ثم تأتي بقية التصنيفات القائمة على أساس الدين أو الوضع الاقتصادي. إن مناقشة موضوع التعددية العرقية والثقافية تعتبر مسألة هامة للغاية، إذ على أساسها تحدد هوية السودان، ذلك أن التنوع العرقي والثقافي والبيئي يكون هو محور النقاش عندما يحاول الكتاب أن يحددوا هوية السودان كقطر، وهوية السودانيين كأعضاء في قارة تتجاذبها تيارات مختلفة. ليس هناك تناقض بين العروبة والإفريقية، وكما أن العروبة رابطة ثقافية حضارية لا عنصرية، فإن الإفريقية رابطة جغرافية سياسية لا عنصرية تجمع بين سكان القارة على اختلاف أجناسهم، إن العروبة بالمفهوم العرقي إذا جاز القول قد لا تنطبق على كثير من الجماعات التي تدعى العروبة في السودان. ورغم الحديث عن الشمال العربي، إلا أن أعداد مقدره من سكان السودان الشمالي يحدثون بلهجاتهم المحلية مثل النوبة والنوباويين والوجه، كما أن اللغة العربية توجد أيضاً في جنوب البلاد، على الرغم من المفهوم السائد في الجنوب بأنه (غير عربي)"^{٤١}، ويؤكد الأنثروبولوجي مارفن هاريس أن تحديد هوية المولود لزوجين من عرقين مختلفين عملية ثقافية، ووصفها بأنها عملية عبثية واعتباطية، ويقول في كتابه الدراسي تحت عنوان التقسيمات العرقية: أنه مع وجود تباينات داخلية قد يكون من اليسر تحديد الأفراد المولودين في أوروبا أو وسط إفريقيا أو وسط آسيا، لكنه من الصعوبة بمكان تحديد عرقيات سكان شمال إفريقيا وجنوبها والشرق الأوسط، وشرق أوروبا، وغرب آسيا والهند وسيلان وإندونيسيا وغينيا الجديدة والعالم الجديد. ويعزى ذلك إلى أن هذه الأقاليم استوطنتها مجموعات بشرية ذات صفات خلقية لا تماثل الصورة النمطية المتصورة للأعراق التي ينتظر وجودها في الإقليم. هناك تداخل في مكونات ملامح الشخص الواحد مثل شعر حريري ناعم وشفاه غليظة وأنوف فطس مع ألوان فاتحة. هذه سمة بارزة في الأقاليم العديدة التي ذكرها من الهند إلى إندونيسيا، إلى الشرق الأوسط وشمال

^{٤١} بهاء الدين مكاوي محمد قبلي: تسوية النزعات في السودان - نيفاشا نموذجاً، مرجع سابق، ص ١٤٥ - ١٤٧

إفريقيا، وحصر المناطق التي قد تتميز بنوع من المكونات المشتركة لسكانها بغرب أوروبا وأواسط القارتين آسيا وإفريقيا والسودان، وقد أثبتت أحدث الدراسات في علم الوراثة ما كان قد ذكره مارفن هاريس من أن نقاء الأعراق خرافة كبرى، وإن كثيرين من البيض قد ذهلوا عندما أثبتت شفراتهم الوراثة أن دماء إفريقية وآسيوية تسبح في شرايينهم وأوردتهم جنباً إلى جنب مع الدماء الأوروبية^{٤٢}.

رغم ذلك كله استطاع الاستعمار البريطاني في السودان كما ذكر الباحث سابقاً أن يصنع فاصلاً جغرافياً وهمياً مستخدماً خط العرض ١٢ درجة، حيث يسكن معظم السودانيين السود جنوب هذا الخط، وتتوفر الثروات الطبيعية الإستراتيجية، وتضم هذه المساحة جنوب النيل الأزرق وجنوب كردفان وجنوب دارفور وبحر الغزال وأعلى النيل والاستوائية . المناطق المعروفة الآن بجنوب السودان . ومن خلال هذا الفاصل الجغرافي صنع البريطانيون في السودان فواصل أخرى ثقافية واجتماعية ودينية تقوم على مبدأ تضاد الثنائيات، وقد استعانوا في ذلك بقانون الجوازات وقانون المناطق المقفولة، "في عام ١٩٢٢م تم إصدار قانون الجوازات الذي تبعه قانون المناطق المقفولة الذي أعلنت بموجبه كل المديريات الجنوبية وأجزاء من كردفان والجزيرة وكسلا كمناطق مقفولة، وقد خول هذا القانون للحاكم العام والسكرتير الإداري ومديري المديريات والمفتشين سلطة حظر أي شخص سودانياً كان أم أجنبياً من دخول هذه المناطق دون إبداء سبب أو مبررات لهذا الحظر، وقد استعمل هذا القانون فيما بعد لمنع الشماليين من دخول الجنوب، كما استعمل في نفس الوقت لمنع الجنوبيين من السفر للشمال"^{٤٣}، ومن هذا الوقت ظهر مصطلح لم يعرفه السودانيون جميعاً من قبل وهو مصطلح جنوب وشمال، الذي لم يكن موجوداً أو مستخدماً قبل هذا التاريخ، وعليه أصبح السودانيون قسمين عرب شماليين وأفارقة أو زنوج جنوبيين، "فقد صدرت الأوامر بأن العرب الشماليين غير مسموح لهم بدخول المديريات الجنوبية الثلاث بغرض التجارة أو الصيد أو أي غرض آخر إلا بالحصول على إذن، وبحدود ضيقة زيدت ضيقاً مع مرور الأيام، كذلك اعتبرت زيارة الجنوبيين لدارفور أو غيرها من المديريات الشمالية جريمة يعاقب عليها القانون (قانون الجوازات لسنة ١٩٢٢م)، كان يهدف إلى إيقاف هجرة الجنوبيين إلى الشمال حيث كانوا يطلبون العمل ومستويات في المعاش أعلى"^{٤٤}.

^{٤٢} الخضر هارون : أزمة هوية أم عقبات ملازمة لميلاد الدولة القطرية ٢٠٠٦م ، <http://www.kefaya.org/06znet/>

^{٤٣} عبد العزيز خالد : جنوب السودان إلى أين ، (د - ن) ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٤٧

^{٤٤} نفس المرجع السابق : ص ٤٩ ، ٥٠

* راجع الصفحات ٣٨ و ما بعدها حول موضوع الهويات الضعيفة و كيفية تقويتها من خلال خلق عدو و مواجهته .

في إطار تقسيم الهوية السودانية بقانون المناطق المقفولة يتساءل الباحث: ماذا كان يفعل المستعمرين البريطانيين بالضبط في جنوب السودان طوال ما يقارب ثلاثون عاماً من ١٩٢٢م إلى ١٩٥٦م؟ ويرى الباحث أنه قد تم حبس السودانيون السود في مناطق جنوب خط عرض ١٢ درجة، التي أصبحت بعد ذلك التاريخ جنوب السودان، تمت محاصرتهم وتحديد خطوط سيرهم في محميات بشرية، وأجريت عليهم التجارب الأنثروبولوجية التطبيقية بعيداً عن عيون الناس قرابة ثلاثين عاماً حيث تم تلقيح الأجيال الجديدة بفكرة ثقافية ومضامين هوية جديدة مبنية من خلال المعطيات القيمة والمعتقدات والأنماط الثقافية السائدة مثل اللون واللغة والقدرات القتالية لدى السودانيون الذين يسكنون جنوباً. استفاد الاستعمار من وقائع الثقافة وتحويلها إلى مفاهيم (الهوية الضعيفة)، وضرورة دخولها في أزمات أو صراعات مع الآخر من أجل أن تبقى وتحمي وتستمر، (والعدو موجود شمال خط عرض ١٢) كذلك استفاد الاستعمار من المعطيات الثقافية للسودانيين الذين يسكنون شمال الخط، ومكّن من تعميق فكرة الاستبعاد.

"ينص التعريف الإجرائي للاستبعاد الاجتماعي على أنه: يعد الفرد مستبعداً اجتماعياً إذا كان لا يشارك في الأنشطة الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه. والاستبعاد ليس مقصوراً على مواطني دولة معينة، وذلك لأن حرمان المقيمين من حقوق المواطنة يعد شكلاً مهماً من أشكال الاستبعاد، كذلك المشاركة تعد في الأغلب جوهرية بالنسبة إلى مفهوم الاستبعاد الاجتماعي، ويترك هذا التعريف المجال مفتوحاً لاستيعاب الأنشطة التي تعد رئيسية مثل: الاستهلاك، الإنتاج، المشاركة السياسية، التفاعل الاجتماعي. وقد أضاف توني اتكنسون T. Atkinson إجابة السؤال عن الفعل: من الذي يقوم بالاستبعاد؟ وما إذا كان الفرد المستبعد يود أن يكون مندمجاً أم لا؟ وقد أبرزها بوصفها ملمحاً أساسياً من ملامح الاستبعاد الاجتماعي، لتتضمن الصياغة الأصلية للتعريف فقرتين إضافيتين هما: ١/ عدم مشاركة الفرد. في الأنشطة المذكورة. ترجع لأسباب لا سيطرة له عليها. ٢/ أن يكون رغباً في المشاركة"^{٤٥}.

ويرى الباحث أنه قد يكون شعور بعض السودانيين من ذو الثقافات غير العربية بأن الثقافة العربية تسعى أو أنها بالفعل تستبعدهم اجتماعياً، ولا تحقق لهم فرص التعبير عن الذات لذلك يلجأ الكثيرون إلى تكوين روابط وجمعيات قبلية وإقليمية لإثبات الذات ومحاولة مقاومة تيارات الاستبعاد الاجتماعي. وفي جانب آخر يوضح بهاء الدين مكاوي موضوع الاستيعاب حيث يقول:

^{٤٥} (عالم المعرفة) جون هيلنز و آخرون: الاستبعاد الاجتماعي، ترجمة محمد الجوهري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٣٤٤، ٢٠٠٧م، ص ص ٧٠ - ٧٥

"يعتبر الاستيعاب الثقافي خياراً متطرفاً لأنه لا يعترف بخصوصية الآخر ويعمل على إلغاءه، وبالتالي بغض الطرف عن حقوقه ومطالبه، ويعتبرها غير مشروعة، واستناداً إلى ذلك، فإنه يسعى لمجته واستيعابه في إطار ثقافة الأغلبية الحاكمة بكافة الوسائل المتاحة ويشمل ذلك استخدام القوة القهرية"^{٤٦}.

وهكذا تكونت الهوية الصراعية في السودان، "إن مفهوم الهوية كبؤرة صراعية، أي كمفهوم مشترك بين أطراف متعددة متصارعة، يحرص كل طرف منها على امتلاكه بالإدعاء بأنه وحده الذي يمثل (حقيقته) إي حقيقة الهوية، ويؤدي تكوين مثل هذه البؤرة الصراعية إلى استبعاد قضايا معينة، لحساب قضايا أخرى، ويؤدي هذا إلى دعم موقف كل طرف من الأطراف المتصارعة. فمن خلال الاتفاق على أهمية الهوية كموضوع للصراع يتم استبعاد غير المشاركين، واعتبارهم خارج المجال الثقافي (الحق) برمته، أو خونه. بالتالي يستمد كل طرف من أطراف الصراع السائد أهميته كمدافع عن (الحقيقة) مما يشترك فيه مع خصومه الذين يقول عنهم أنهم يشوهونها أو يدمرونها، ويدمرون معها مستقبل الوطن، أو العقيدة، أو الشعب أو المقهورين، وما إلى ذلك"^{٤٧}.

وهكذا أصبحت الهوية بؤرة صراعية في السودان لاسيما بين السودان العربي والسودان الإفريقي، بين الشمال العربي، والجنوب الإفريقي، ثم بين الشمالي العربي المسلم، والجنوبي الإفريقي المسيحي وظهرت مفاهيم الجهاد في سبيل الله في حرب الجنوب. وتشكلت العقلية السياسية التي أثرت بصورة أو بأخرى على العقلية الاجتماعية بظهور الهوية الإفريقية على الهوية العربية . والعكس . ولكن الظاهرة على السطح المشكلة (الجنوبشمالية)، ويحلل فرانسيس دينق هذا الموضوع حيث يقول: "تعددت الشروحات في المشكلة الجنوبشمالية، ولكن الأكثر وضوحاً وأكثر جدلية، كانت سمة التعريف (العرقى . ثقافى) racio-cultural: أن الشمال يعتبر عربي مسلم، والجنوب زنجي ووثني مع قيادة مسيحية. لكن الناس يقبلون الآن بأن تعريف الجنوب والشمال على طول الخطوط العرقية تبرر بالكاد أنه ليس فقط الشمالي خليط العناصر الزنجية العربية والإفريقية، بل أيضاً الجنوبي ليس زنجياً صافياً على الرغم من الحقيقة المتناقضة، أن بعض الجنوبيين هم بين الأسود في العالم.

^{٤٦} بهاء الدين مكايي : الصراعات الإثنية في القارة الإفريقية ، مركز دراسات الشرق الأوسط و إفريقيا - قضايا إستراتيجية (١) ، ٢٠٠٣م ، ص ٤١

^{٤٧} شريف يونس : كتاب سؤال الهوية ، <http://www.geociti.com/sameh562001/index5.html> ،

لكن الشئ الشاذ ليس فقط عرقي، ثقافي، فإن الإسلام والعربي ربطا الشمال سوياً، حتى أنهما تأثرا كثيراً بالثقافات العشائرية السابقة للشمال، هذه التعقيدات العرقي . ثقافية racio-cultural تظهر إلى أي مدى أن عملية التعريف في السودان مرنة. التعريف بالهوية في السودان تجزر هكذا كقيم تقليدية، المفهوم العميق بحساسيته، وهو يقر حذر وغيره، واستسلام وتردد. التشكل والاشتراك في السلطة السياسية من ناحية أخرى يبرزان قضايا التنافس competition والصراع "conflict"^{٤٨}.

وفيما يتصل بمحاولة تحديد الهوية السودانية فقد طرحت الأسئلة حول من نكون: هل نحن عرب أم أفارقة أم هجين بين بين؟ منذ بدايات تشكل الفكر السوداني والحركة السياسية الحديثة، ويمكن القول بأن موضوع الصرع الفكري السياسي الذي دار حول الهوية السودانية كانت ولا تزال مادته الرئيسية، هي حسم ماهية وانتماء ما يُزعم أنه خواص وصفات مادية روحية مشتركة للسودانيين جميعاً، هي التي تشكل هويتهم وشخصيتهم وموضوع الصراع والنزاع.

وبما أن الصراع قد دار أصلاً حول هوية سودانية موحدة لألوان الطيف الثقافي والدين واللغوي والعرقي المميز للشعب السوداني، فقد كان طبيعياً أن تلجأ الأطراف المتنازعة سواء كان بوعي نظري أم بغير ذلك إلى معيار ما محدد للقسمات الحاسمة والغالبة لتلك الهوية.

وعلى صعيد الممارسة يلزم الوقوف عند اتجاهين يكمل أحدهما الآخر:

أ. الافتراض بأن السودانيين شخصية واحدة، هوية واحدة، ومن ثم ثقافة واحدة يطلق عليها بملء الفم الثقافة السودانية.

ب. وجود معيار محدد للقسمات والملاحم الغالبة لهذه الهوية وثقافتها الحاملة لها والمعبرة عنها، وهو هنا المكون العربي الإسلامي.

وكلا الافتراضين يلويان عنق الحقيقة، ويقفزان على الواقع، ويختزلانه. ومع صحة القول بأن تمازجاً وتجانساً قد حدث إلى حد ما، وكبير في بعض الحالات بين مختلف المجموعات العرقية والثقافية المكونة لنسيج المجتمع السوداني إلا أن الحديث عن (بوتقة الانصهار) ليس سوى وهماً

^{٤٨}Francis Mading Deng, "DYNAMICS OF IDENTIFICATION" a basis for national integration in the Sudan, published and printed by KHARTOUM UNIVERSITY PRESS, p.o. box 321, Khartoum, Democratic Republic of the Sudan, 1973, pp. 1 - 2

لأيدولوجيات الهيمنة، بينما بقيت سمات التمايز والاختلاف هي الغالبة وهي التي تظل تدور حولها الحرب الأهلية منذ قبل الاستقلال"^{٤٩}.

فرغم التمازج العرقي والثقافي الذي حدث للأقوام الذين تواجدوا في المنطقة الجغرافية التي تعرف الآن بالسودان، وإثبات البحوث الاجتماعية والأنثروبولوجية، بالإضافة إلى البحوث المعملية حول دراسة الجينات الوراثية والنقاء العرقي، بعدم وجود عرق نقي، إلا أن السودانيون خصوصاً الذين ينتمون إلى الشمال العربي المسلم يدعون بما يفيد معناه أنهم عرباً خالصاً، ويشكلون الأغلبية، ويعتبر هذا الشعور أحد معضلات الصراع حول الهوية العرقية والثقافية والوطنية السودانية، يناقش الباقر العفيف هذه المسألة من خلال تعريف التماهي identification: "قاموس العلوم الاجتماعية يعرف التماهي باعتباره: الميل للتقليد أو عملية تقليد سلوك شئ ما، وربما يدل كذلك على عملية التمازج العاطفي، أو حالة هذا التمازج الناجزة مع هذا الشئ ذاته.

وقد استخدم فرويد هذا المصطلح في علم النفس إذ قال: التماهي هو التعبير المبكر عن الرابطة العاطفية مع شخص آخر، يتماهى الفرد مع شخص آخر (كمثال للذات) بوصفه شخصاً يريد أن يكونه، أكثر مما يريد أن يمتلكه، وهذا ما يجعله مهماً في سلوك المجموعات، وهو يفسر حاجة الفرد ومقدرته على الارتباط و قوة الروابط العاطفية المشار إليها كخصائص جوهرية للبشر. ويعرف ج.ب. ستيوارد التماهي بأنه: استعداد عام لمحاكاة سلوك أحد النماذج، ويميز شيلر بين نوعين من أنواع التماهي هما الأيدويثي أي الذاتى بحيث التماهي من خلال اضمحلال الذات الأخرى وامتصاصها من قبل الذات المتماهية، والنوع الثانى التماهي الهيتروباثى أى الغير، فيه تتضاءل الذات المتماهية أمام هيمنة النموذج"^{٥٠}.

ومن خلال هذه التعريفات للتماهي يشرح الباقر العفيف مشكلة السودانيون الشماليون حيث أنه مع الحقائق التاريخية لدخول العرب السودان واستقرارهم فيه، ورغم أنهم لم يجلبوا معهم نساء ليكونوا مجموعات عربية خالصة، ورغم مصاهرتهم للسكان المحليين سوء أكانوا نوبيين أو بجه أو قبائل نيلية أو غير ذلك، فإن الناتج عن هذه المصاهرات هم السودانيون المعروفون بالشماليين الذين يتحدثون باللغة العربية كلغة وحيدة، وينظرون بل يعتبرون أنفسهم عرب، متماهين مع شخصية الأب العربي واللون الأبيض. وأحياناً يكون التبرير هو الإسلام. والكثيرون

^{٤٩} عبد الجبار عبد الله : السودان في متاهة من الهوية إلى الوحدة أو وضع العربية أمام الحصان ، <http://snrphiladelphia.net>

^{٥٠} الباقر العفيف : أزمة الهوية فى شمال السودان ، مصدر سابق ، ص ٣

يدعون النسب إلى الرسول ﷺ أو أحد أعمامه، والذين يخافون المغالطة يكتفون بالانتساب إلى أحد الصحابة، ويرى العفيف أن هؤلاء السودانيون يواجهون مشكلة عدم اعتراف العرب في الدول العربية بهم كعرب (بل عبيد)، وفي أوروبا لا يجدون لهم تصنيف ضمن تصنيفات الأوروبيين لأنفسهم أو لغيرهم (أبيض، أفرو . كاريبي، آسيوي إفريقي أسود)، ورغم ذلك تهفو أفئدتهم إلى الانتماء لهوية العربية رغم الدماء الإفريقية التي جرى في شرايينهم، فينظرون إلى العرب على أنهم النموذج الواجب التماهي معه، ومن ناحية أخرى ينظرون إلى (الأم) السوداء نظرة دونية مشحونة بالتمنيات لو لم تكن تلك هي الأم، وكأنها وصمة سيئة، لذلك تكمن في نفوسهم كراهية غير معلومة الهوية والمصدر تجاه كل من هو أسود أو يذكرهم بالدماء السوداء التي يحيون بها. "البشر حاجة أساسية إلى إنشاء تنظيم ونظام في العالم الاجتماعي من أجل تحديد موقعهم في هذا العالم وإكسابه معنى، وتوجد الجماعات وتعمل من خلال وجود علاقات متبادلة بينها، هذه العلاقات يمكن أن تكون من أنواع مختلفة، وأن تجر إلى نتائج اجتماعية مختلفة، من ضمن هذه العلاقات: إلغاء الذات أمام الآخر: هذا وضع تفقد فيه الجماعة قدرتها على الفحص عن الآخر على نحو عقلائي ونقدي، فهي تلغى نفسها أمامه وتتماثل معه تماثلاً تاماً، وترى فيه صورة كل شيء، وتوجه نقداً لاذعاً إلى الجماعة الذاتية، أحياناً إلى درجة التدمير الذاتي أي فقدان نواة الهوية الذاتية"^{٥٠}.

ويضيف الباحث: إن مسألة فقدان الذات أمام الآخر قد تكون بين جماعة (الذاتي) ليست لها علاقة (بالآخر) من الناحية العرقية ethnicity أو الدمية racial، ولكن تُعجب بصورة لا شعورية بالجوانب الأنثروبولوجية (للآخر) سواء من ناحية الأنثروبولوجيا الطبيعية physical anthropology، أو الأنثروبولوجيا الثقافية cultural anthropology، فتراه النموذج المثالي فتتقمصه ثم تذوب فيه . حتى لو كان بين الثقافتين مسافة جغرافية . ويحدث ما يعرف بالذوبان الثقافي cultural assimilation .

وهناك نوع آخر هو أن تكون هناك بعض العلاقات العرقية والسلالية، ولكن ترى الأجيال اللاحقة أنها تميل وتتمثل لا شعورياً أحد الدماء أو السلالات العرقية التي تجر في عروقها، مثال ذلك بعض السودانيين (التماهي مع النموذج العربي في مقابل الخليط الإفريقي العربي).

^{٥٠} ارهيد دافيد : نحن هنا و هم هناك - وجهها الهوية الجماعية ، مقدمة لأسبوع فسيفساء إسرائيلية ، <http://cms.educatio.gov.il/>

من ناحية أخرى يقول بونا ملوال: إذا نظرنا إلى تركيبة الأمة السودانية فإننا يمكن أن نلاحظ الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها كل من يحاول أن يقسم السودانين إلى أقسام محددة على أساس عنصري، وفي الحقيقة لا يوجد في السودان عرب وأفارقة، بل يوجد خليط متجانس من العرب والأفارقة، نتج عنه نوع لا يريد السودانيون أن يعرفوه بأنه عربي إفريقي، أو زنجي إفريقي، ومن ثم استقر رأينا أن نسمى أنفسنا سودانيين، فقط، وليس هناك أي مصطلح غير كلمة (سوداني) يمكن أن نشير بها إلى هذا الخليط المتلائم في هذه الأمة"^{٥١}.

من ناحية أخرى يعرف الدكتور جون قرنق رئيس الحركة الشعبية لتحرير السودان (السودانوية) بأنها البوتقة التي ستأتي نتيجة انصهار التنوع التاريخي، أي التركيبة القديمة للسكان الأصليين منذ ما قبل التاريخ، والتنوع المعاصر، وهو التنوع المعاصر بتركيبته . السودان الحالي . دون أن يهمل المؤثرات الخارجية والتداخل الثقافي العالمي.

ويلخص الدكتور جون قرنق السودانية بطريقة الرياضيات وذلك وفق المعدلة التالية (س) = (أ) + (ب + ج)، حيث أن (س) هي السودان أو الهوية السودانية، وهي دالة مرتبطة بالمتغيرات أ، ب، ج. (أ) يمثل التنوع التاريخي (ب) يمثل التنوع المعاصر (ج) يمثل التأثيرات الحضارية الأخرى علينا، أما المتغير التابع (س) والذي يمثل الهوية السودانية فهو المحصلة النهائية لهذه المتغيرات أو المكونات. وتعد السودانية كهوية ثقافية بأنها أكبر من مجموع الأجزاء المكونة لها.

وقد ذكر الدكتور منصور خالد في ذلك: أن القاع الاجتماعي للوطنية السودانية ليس هو الاستعراب أو التزنج، وإنما هو خليط من هذا وذاك، وأشار عليه بالسودانية. ويرى منصور خالد أن العلاج الناجز لمسألة الهوية السودانية هو المواطنة ويقول في ذلك: السودانيون ليسوا قومية واحدة بالمفهوم الأنثروبولوجي أو السلافي، وإنما هم شعب واحد بالمفهوم السياسي تمازجت عناصره في فضاء جغرافي محدد، وأفق تاريخي معين، وكل واحد منها مزاج. وفي القانون ترتكز المواطنة على عمدتين، حق الدم، وحق الأرض.

السودانيون إذًا نتاج لصدفة الجغرافية والتاريخ شأن شعوب كثيرة تخلقت نتيجة لمثل هذه الصدفة (أمريكا، جنوب إفريقيا، بيرو، البرازيل، كندا) وهذه الشعوب المتعددة المنابت والمنوعة الثقافات،

^{٥١} بونا ملوال : صحيفة السودانى الدولة و الهوية الجامعة ، العدد ٥٥٥ ، ٠٤-٠٧-٢٠٠٧م ، <http://www.alsudani.info/index>.

أدركت بحسها الواعي بأن الرابطة الوثقى التي توحد بين أهلها هي الإحساس بالانتماء لوطن واحد (المواطنة)، والولاء لدستور واحد يؤطر هذه المواطنة.

فالخيار أمام مثل هذه المجموعات هو إما الانتماء للوطن انتماء مباشر عن طريق المواطنة ودستورها، أو الانتماء له انتماء غير مباشر عن طريق هويتها الصغرى، دينية كان أم عرقية أو ثقافية. الانتماء الأخير وصفة لا تتجم منها إلا الكارثة، لأن التحصن بالهويات الصغرى يفضى بالضرورة إلى إقصاء الآخر الذي لا ينتمي لتلك الهوية، وإقصاء الآخر يقود بالضرورة أيضاً إلى تفوقه في هويته المحلية المحدودة. وربما إلى إنكار كل ما هو مشرق في ثقافة من أقصاه وسعى للهيمنة عليه.

كما تنطلق السودانية بالاعتراف بواقع الأديان السماوية والتقاليد الإفريقية السودانية وأنه يجب التعامل معها كواقع حياة، وأن يتم التعامل مع معتقها كأقوام أصيلة في البلاد وليس كأقليات لا يعتد بها ولا بدياناتها^{٥٢}.

الاستنتاجات

يتضح مما سبق أن الأسرة هي أهم عنصر من العناصر المكونة للبناء الاجتماعي، حيث أنه منها يتكون المجتمع، وفيها تتم عمليات صناعة القيم والمعايير والقواعد والمقاييس التي تقيس دقة التزام الأفراد المنتمين إليها، وهي لا تزود المجتمع بأعضاء جدد فحسب، بل إن عمليات التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها، تعمل على تشكيل وجدان وشخصية وهوية أفرادها والذين يصبحون أعضاء في المجتمع الكبير وهم مزودين بكل أساليب السلوك والمزاج والتفضيلات والاتجاهات وهارات التكيف والتواصل الاجتماعي، التي تصبح فيما بعد السمة المميزة للمجتمع.

كذلك تلعب الأسرة الدور الرئيس في تشكيل الذات الجماعية وفهم البيئة المحيطة وكيفية التعامل معها، وهي التي تنمي الأفكار وتوفر المعلومات حول كيف ولماذا تقتخر الجماعة بنفسها، أي أنها تعمل على تشكّل الهوية الثقافية والإثنية وتمنح أفرادها المقدرة على التمييز بينها وبين الهويات الأخرى، كما تمنحهم الرموز التي تجعلهم يحددون كيف ولماذا ومتى يحبون أو يكرهون أو يحتقرون الآخرين خارج نطاق الجماعة.

^{٥٢} عاطف عبد الله قسم السيد : ثقافة أم مثاقفة : السودان و حرب الهويات ، http://www.arkamani.org/vol_3/anthropology

كما أن الأسرة كذلك تلعب الدور الرئيس إلى جانب قنوات التنشئة الاجتماعية الأخرى، في إكساب أفرادها الاتجاهات والتوجهات نحو الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن ثمة تلعب دوراً في تشكُّل الهوية المجتمعية والوطنية، حيث ينقل المجتمع عبر الأسرة والقنوات الأخرى ثقافته السياسية من جيل إلى آخر، وتدرّسهم كيفية التصرف مع القابضين على السلطة السياسية.

ومن منطلق أن الأسرة هي نقطة الانطلاق الأولى التي تتكون فيها الذات والهوية الفردية والجماعية، فإن من مجموع الأسر يتكون المجتمع، وهنا تخضع عمليات تكوين الذات والهوية إلى التعديل وإعادة التشكيل والحذف والإضافة، حتى تتشكّل الهوية المجتمعية بكل معطياتها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويحرص كل مجتمع على التمييز بسمات تجعل أفرادها يشعرون بأنهم يتميزون على الآخرين في إطار (نحن . هم).

ويعتقد الباحث أن الحاجة إلى الشعور بالتمييز هي مسألة فطرية لدى البشر، لذلك تحدث عمليات معقدة من تجميع لكل الإمكانيات والممتلكات الفكرية والثقافية المادية والمعنوية، وإنتاج الأساطير التي تحكي عن أمجاد الأجداد أو الجد الذي تتحدر منه الجماعة، وكلما ارتفع معدل التعبئة النفسانية لأفراد المجتمع باتجاه الافتخار بالنفس، كلما نمت حالة الاستعلاء الإثنوثقافي والاجتماعي، بحيث تصبح النظرة للمجتمعات المحيطة نظرة دونية، وإذا توفرت القوة البشرية والاقتصادية لدى الجماعة، تصبح هذه القوة حافزاً لتنمية القدرات القتالية، وبذلك غالباً ما تطغى أو تبغي على الجماعات الأخرى التي ترى أنها أضعف منها.

الحالة السودانية نجد فيها أن السودان وبحكم موقعة الجغرافي المميز، يتكون من مجموعات من المجتمعات المتنوعة والتمايزة ثقافياً واثنياً، إلا أنه منها من تجمع بينهم المشتركات الثقافية، ومنها من تتباين في كثير من عناصرها، وقد قدر لكل مجموعات بينها مشتركات أن تستوطن جهة جغرافية معينة، وهذا لا يعني أن مثل هذه المجموعات ليس بينها تمايز وتفاخر بالذات والهوية الإثنوثقافية، إلا أن هذه المشتركات كانت أساس للمواطنة، حيث استطاعت هذه المجتمعات أن تنتج مجموعات من القواعد والأعراف التي تنظم علاقات المواطنة القائمة على الحقوق والواجبات على مستوى الفرد والجماعة.

وتعتبر القبيلة هي العنصر الرئيس للمكون الاجتماعي السوداني، هذا الوضع الطبيعي تاريخياً لم يتأثر بنظام الدولة عند دخول الاستعمار التركي ١٨٢٠م والبريطاني ١٨٩٩م إلى السودان، حيث لم ترى كِلا القوتين الاستعماريّتين ضرورة في تدوير النظم القَبَلِيّة في نظام الدولة، بل استفادت منه في جمع الضرائب على سبيل المثال وبعض الأمور الأخرى الإدارية القاعدية.

كذلك لم تستطع الحكومات الوطنية منذ استقلال السودان عام ١٩٥٦م وحتى الآن أن تستوعب النظم القَبَلِيّة والتنوع الثقافي في نظام الدولة الحديثة، ويعتقد الباحث أن السبب لا يكمن في قدرة النظم القَبَلِيّة على البقاء، وإنما لأن هذه الحكومات سعت للمحافظة عليه للاستفادة منه ليس في عمليات جمع الضرائب فحسب، بل توظيفه في المنافسة في الانتخابات السياسية والبقاء في السلطة، لذلك لم يتم تطبيق المواطنة على أساس الحقوق التي يجب أن توفرها الدولة من أمن واستقرار وصحة وتعليم إلى آخر القائمة، والواجبات التي يجب على أفراد المجتمع كمواطنين الالتزام بها تجاه المجتمع والدولة.

بالتالي لم يكن بالإمكان ميلاد هوية وطنية حقيقية، حيث أن الهوية الوطنية خليط معقد من الثقافية بمكوناتها المتشعبة والمعقدة، إلى جانب عوامل الرضاء المعيشي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية، وتوفير الحقوق المدنية الدستورية التي تكفل لأفراد المجتمع كمواطنين الشعور بالحق وإمكانية المشاركة الإيجابية.

في ظل المنهج الذي توارثته واتبعته الحكومات الوطنية التي توالى على حكم السودان في إدارة التنوع الإثنوثقافي السوداني، ومع التطورات والسياسات العالمية للاتجاه نحو العولمة لبناء هوية عولمية، أصبحت الأسرة غير قادرة على إنتاج الهوية الوطنية كأحد المعايير القيمية التي من المفترض أن تزود بها أفرادها، ومع عدم الاستقرار الأمني والمعيشي على المستوى المحلي وسرعة التطورات التكنولوجية وثورة المعلومات والاتصالات، بدأت الأسرة تفقد دورها المهم في التنشئة الاجتماعية وتربية الأبناء، وبالتالي بدأت تفقد القدرة على المحافظة على الهوية الأسرية.

حيث أن السياسة العولمية تجاه الهوية الوطنية للجماعات المحلية، تعمل على إنتاج ونشر وتمكين أفكار مثل التهميش، حقوق الإنسان، حق تقرير المصير، الحكم الذاتي، حقوق الأقليات،

حيث يتم تصدير الإثنوثقافية بين المجموعات القبلية المختلفة، أو بينها وبين حكوماتها مستفيدة من المعطيات النفسانية والمادية لهذه المجموعات.

وأمام فشل الحكومات الوطنية في إدارة التنوع والصراع، تجد الأسرة نفسها تقف على مفترق الطرق بين تزكية الهوية الوطنية، أو تزكية الهوية الإثنوثقافية، وكلما فشلت الحكومات في بسط الأمن والاستقرار المجتمعي وغرقت في التجاذبات والأستقطابات القبليّة، كلما ضعفت الهوية الوطنية والشعور بالمواطنة وتَقوّت الهوية الإثنوثقافية.